

المادة: المدارس التاريخية
المستوى: السنة الاولى ماستر
التخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

المحاضرة:03

المدرسة التاريخية (New Historicism)

يقول فريديريك مينيكيه أن "التاريخية كانت واحدة من أعظم الثورات الفكرية التي شهدتها الفكر الغربي" وعلى الرغم من بعض المبالغة إلا أنه يمكن اعتبار أن التاريخية واحدة من أهم الحركات الفكرية في القرن التاسع عشر.

يمكن اعتبار التاريخية أنه مشروع أو برنامج طموح يهدف "إضفاء الشرعية على علم التاريخ كعلم. كما جرى التعبير عن هدف التاريخية في بعض الأحيان على أنه مطالبة بالاستقلالية، يجب أن يتمتع التاريخ بالحكم الذاتي... ولا يجوز التسامح مع التدخل الخارجي سواء أكان سلطة سياسية أم دينية أو أي نوع آخر من فروع المعرفة.

جاء التهديد أولاً من الفلسفة لأنها أرادت توظيفه خادماً لها، ثم بعد تراجع المثالية جاء خطر الوضعية التي جعلت من العلوم الطبيعية وأساليبها غاية نهائية لكل الحياة الفكرية، لذلك خاض التاريخيون معركتين

عُرفت التاريخية بأنها دراسة الأحداث التاريخية كما هي دون إخضاعها للمثالية الأخلاقية والسياسية، بل تُدرس كظواهر تاريخية مختلفة في السياق، وترى هذه المدرسة أن الحقيقة التاريخية تظل دائماً حقيقة نسبية، وأن علوم الطبيعة تُفسر، لكن علوم الاجتماع تُفهم، ولا تنظر التاريخية إلى الوثائق باعتبارها شئ مقدّس لتفسير وتأويل الحدث التاريخي، ويستطيع أن يصل المؤرخ التاريخي إلى حقائق جزئية، ولكنه لن يدرك الصورة الكلية للحدث التاريخي، وقد ظهرت أفكار المدرسة في أدبياتهم عن سير المشاهير، ودراسة الذهنيات وتأثيرها على الفرد والمجتمع من خلال سياقها التاريخي وتأثيرها للأحداث.

من هم التاريخيون؟ في القرن التاسع عشر:

بارتولد جورج نيبور 1776-1831

ليوبولد فان رانكة 1795-188

يوهان جوستاف دروسن 1883-1908

ويلهلم دلتاي 1833-1911

1-مبادئها :

-استقلالية علم التاريخ

-التاريخانية نظير للطبيعية

كل ما يحدث في التاريخ يمكن تفسيره وفقا لأساليب التاريخ

ان كل شيء في العالم الإنساني –الدولة والمجتمع والأخلاق والآداب والعلوم- هو جزء من التاريخ وان جميع القيم والنظم الإنسانية تتغير ولا يوجد شيء ثابت.

أ-رأي يوحنا هردير (1744-1803):

يعتبر يوحنا هردير رائدا لهذا الاتجاه أي اتجاه "انفراد التاريخ واستقلال منهجه" وقد نشأ هردير في أسرة متدينة، وكانت نزعته الدينية ابعده من مجرد معارضة لتيار عصر التنوير الذي انتقد الدين والحد فيه، انه مذهب ديني يهتم بالجانب الروحي الفردي في الدين دون الجانب اللاهوتي المذهبي، ومن ثم فانها تزيد من وعي الفرد بفردانيته واستقلاله عن الجماعة الإنسانية وقد انعكس ذلك على نظريته الى التاريخ.

تتلمذ هردير على الفيلسوف "كانط" واطلع على مؤلفات روسو ومونتيسكيو وهيوم وتأثر بمعارضة كانط لتيار التنوير لنظريته إلى التاريخ تماما كما أعجب بأفكار ليبينيتز وبالأخص فكرة "الموندات" الأمر الذي أوحى له بانفراد الواقعة التاريخية. كما اشتغل هردير مع الشاعر الكبير جوتة في حقل الأدب من خلال "حركة العاصفة والاندفاع"، الأمر الذي أثر في نزعته التاريخية، وأبعده عن النزعة العقلية العلمية في التاريخ.

وهكذا اجتمعت العوامل الدينية والأدبية في تكوينه الشخصي والعائلي والمهني لتجعل من هردير رائد للحركة التاريخية المعارضة لعصر التنوير، فالفهم السليم للتاريخ عنده عبر عنه في كتابة

"فلسفة أخرى للتاريخ" يقتضي حسبه التحرر من التصورات السلبية لعصر التنوير، التي تفترض وحدة الطبيعة البشرية في كل زمان ومكان مع ان "التغير الدائم هو جوهر مسار التاريخ".

ويقر هرردر ان لكل عصر تاريخي ولكل حقبة تاريخية ولكل حضارة شخصيتها وقيمتها، وليس من شان المؤرخ ان ينظر للماضي بعيون الحاضر ومعاييره، لان الإنسانية ليست شكلا ولا طابعا ولا نمطا واحدا، وهو فريد لا يتكرر وان كل شيء في العالم الإنساني -الدولة والمجتمع والأخلاق والآداب والعلوم- هو جزء من التاريخ وان جميع القيم والنظم الإنسانية تتغير ولا يوجد شيء ثابت.

ب-موقف فلهلم دلتاي (1833-1911):

واما فلهلم دلتاي فيؤكد ان الإنسان من حيث علاقته بالتاريخ نتاج الماضي، ذلك ان الحياة البشرية طابعها الاستمرار وكل لحظة مرتبطة بأخرى لتكون وحدة متكاملة. والحياة الإنسانية أيضا تمتاز بالتغير والتنوع والديمومة، ولا بد للمؤرخ من حاسة تاريخية كي يدرك ذلك ومن ثم تجنب النظر الى الماضي باعتباره صورة مكررة او مماثلة للحاضر. ويعطي امثلة من التاريخ الروماني من خلال التمايز الطبقي مثلا (قنصل، نبيل، عبيد...) لا يصح ان تفهم تلك المسميات كما هي الان بل في سياقها التاريخي في الزمان والمكان، وذلك هو الخطأ الذي وقع فيه مؤرخو التنوير والمدرسة الوضعية.

إذا فقد أصرت المدرسة التاريخانية على التفرقة بين العلوم الطبيعية وبين التاريخ، وتتضح هذه التفرقة لدى فلهلم فيندلباند الذي ميز بين علوم "واضعة للقوانين" وعلوم "مصورة للأفكار".

ج-نظرة بينيديتو كروتشه 1866-1952:

كروتشه (Benedetto Croce) 25 فبراير 1866 – 20 نوفمبر 1952) كان فيلسوفاً مثاليًا ومؤرخًا وسياسيًا إيطاليًا، تناول موضوعات عديدة في كتاباته، من بينها الفلسفة والتاريخ وعلم التأريخ والجماليات. تشير معظم وجهات النظر إلى أن كروتشه كان ليبراليًا، رغم معارضته للتجارة الحرة وفق مبدأ عدم التدخل وما كان له من تأثير معتبر على مثقفين إيطاليين آخرين من بينهم الماركسي أنطونيو غرامشي والفاشي جيوفاني جنتيلي. شغل كروتشه منصب رئيس

نادي القلم الدولي، رابطة الكتّاب العالمية، منذ عام 1949 حتى عام 1952. ورُشح لجائزة نوبل للآداب 16 مرة .

اكتملت النزعة التاريخانية لدى المفكر الايطالي "كروتشه" الذي انتقد الأسس التي قامت عليها المدرسية الوضعية ونزعتها الطبيعية، ولا يرى ان البحث التاريخي موضوعيا بمجرد جمع المادة التاريخية وتحليلها بل بالبحث عما وراء المادة أو الوقائع التاريخية ولا يعد تاريخا عنده مجرد تسجيل الوقائع الماضية الميتة.

ويرى انه لا مجال للتنبؤ في التاريخ، لأننا لا نملك المستقبل، وإذا كان نابليون "لم يستطع ان يحدد مصير معركة ما منذ بدايتها فكيف يمكن للمؤرخ ان يحدد مستقبل الإنسانية؟" والفرق بين العلم والتاريخ هو الفرق بين الممكن والواقع وبين الكلي والجزئي.

والمؤرخ في نظره للماضي يشبه الفنان، كلاهما يتمثل الواقع بنظرة فردية، وانه لا بد من تبني وتمثل الوقائع الماضية ومحاولة صياغتها والغوص في تفاصيلها لدراستها وإصدار الأحكام حولها.

تعبّر مقارنة كروتشه المنهجية للفلسفة عن نفسها من خلال تقسيمه للروح، أو العقل. إذ يقسّم النشاط العقلي أولاً إلى الجانب النظري، ثم الجانب العملي. وينقسم الجانب النظري بين الجماليات والمنطق؛ وأهم ما تتضمنه هذه الجماليات النظرية هو الحدس والتاريخ، في حين يتضمن الجانب المنطقي كلاً من المفاهيم والعلاقات. أما الروح العملية فتهتم بالاقتصاد والأخلاقيات، ويجب فهم الاقتصاد هنا على أنه مصطلح شامل لكل المسائل النفعية.

لدى كل من هذه الأقسام بنية ضمنية تُملي نمط التفكير الذي يتلاءم معه أو تمنحه اللون. فبينما يقود حافزُ الجمال علمَ الجماليات، يكون المنطق تابعاً للحقيقة، ويهتم الاقتصاد بالأمور المفيدة، أما الأخلاقيات فترتبط بالخير. يُعد هذا المخطط وصفيًا من ناحية أنه يحاول شرح منطق الفكر البشري؛ غير أنه تقريرى في الآن نفسه، من ناحية تشكيل هذه الأفكار لأساس المزايم والثقة المعرفية.

فلسفة كروتشه هي فلسفة المثالية المطلقة. ومذهبه الفلسفي يضع أربع درجات في "هبوط عالم الروح" وهي الدرجة الجمالية (تجسد الروح الفرد)، والدرجة المنطقية (مجال العام). والدرجة الاقتصادية (مجال المصلحة الخاصة) والدرجة الأخلاقية (مجال المصلحة العام).

وكان لنظرية كروتشه الجمالية تأثير بالغ على النقد الفني في مرحلة البرجوازية، فقد عارض الفن باعتباره معرفة حدسية بالفرد المتجسد في الصور الحسية بالاستدلال العقلي، باعتباره عملية عقلية لمعرفة العام. ويسعى مذهب كروتشه الأخلاقي إلى إخفاء الأساس الاجتماعي والطبيعية التطبيقية للأخلاقيات. وتروج فلسفته الأخلاقية لمبدأ إخضاع الفرد للـ"كلي" أي إخضاع الفرد للنظام الاستغلالي السائد. وكان كروتشه ايدولوجيا بارزا وزعيما سياسيا للبرجوازية الليبرالية الإيطالية وكان خصما للفاشية.

د-كولينغود والفكر التاريخي:

ومن منظري هذه المدرسة المعاصرين أيضا نجد: كولينغود Collingwood مؤلف كتاب "الفكرة في التاريخ" والذي يتفق مع كروتشه في عدم صلاحية المنهج التجريبي لعلم التاريخ لان الواقعة التاريخية ليست معطاة كما هي الحال في العلم الطبيعي، ولأنه أيضا لا تاريخ للطبيعة. ويرى ان التاريخ ليس مجرد وثائق ومستندات، وان اكتفاء المؤرخ بمجرد التجميع يجعل عمله اقرب من عملية "القص واللصق" ومنه مجرد كاتب حوليات .

إن المؤرخ بالنسبة لكولينغود لا ينظر إلى مادته التاريخية نظرة خارجية او سطحية بل يفحص الوقائع ليكشف الفكر الذي بداخلها ويحركها. ويكتشف الفكر الكامن وراء ما تسرده تلك الوقائع، بمعنى إعادة التفكير فيها على النحو الذي حدثت في الماضي.

لكن مما أخذ على التاريخانية أنهم أرخوا للحدث في جزئيته، ورفضوا التعميم في دراساتهم للظواهر، كما أنهم رفضوا وجود أية حقيقة موضوعية، والسقوط في النسبية في الحكم على الأحداث التاريخية، أي رفض إطلاق أي حكم على الفاعل التاريخي، وهو ما يؤدي للعدمية أو التسامح المطلق مع الفاعل التاريخي.

ه-نقد واستخلاص: بين المدرستين الوضعية والتاريخانية:

ان التساؤل البارز المطروح في هذا الإطار هو: هل يمكن ان يصل التاريخ إلى أحكام كلية؟ ومن ثم التنبؤ بما سيحدث في المستقبل؟

ام ان التاريخ له منهجه الذي ينفرد به؟ بحكم انه يدرس أفعال الإنسان التي لا يمكن إخضاعها للحتمية ولكن تمتاز بالحرية؟

فنحن إذا بين ثنائية: العلم الطبيعي = المادة + العلية + الكلية

التاريخانية = الإنسان + الفردية + الزمكان

-يقول الوضعيون ان التاريخ يستند على منهج الملاحظة كما هو الحال في العلم الطبيعي، ويرون ان الملاحظة قد تغني عن التجربة، علما ان هناك من العلوم الطبيعية ايضا التي تستعيز عن التجربة بالملاحظة كالجيولوجيا و علم الفلك.

-ان الحركة الديناميكية لمسار التاريخ لا تحُول دون تطبيق المنهج التجريبي عليه.

-انه يمكن الوصول الى أحكام كلية تمكن من التنبؤ في المستقبل، يقول همبل: "يستطيع التاريخ ان يستوعب فردية وقائعه وان يرتفع بها الى درجة من العموم لا تقل في ذلك عن الطبيعة والكيمياء".

أما التاريخانيون فقد انتقدوا الوضعيين، معتبرين أن التاريخ والطبيعة موضوعان متمايزان، ولا تاريخ إلا لأفعال الإنسان. وان عمل المؤرخ لا يكمن فحسب في معاينة المادة التاريخية بشكل تقني بل أكثر من ذلك انه يعمل على إعادة بعث الماضي ليجعله يعيش في الحاضر بصورة، لذلك كان كل التاريخ معاصرا بحسب كروتشه.

-ان العلية في التاريخ تختلف عن العلية في العلوم الطبيعية، لان وقائع التاريخ تتصل بالإنسان وأفعاله تمتاز بالحرية لا بحكمها قوانين الحتمية. كما ان التاريخ ملئ بالمفاجآت والصدف (او الأقدار) غير المتوقعة ومن ثم لا يمكن تطبيق القوانين الطبيعية الثابتة على الظواهر مهما طال زمانها. لكن الوضعيين يعتبرون على التاريخانيين تمسكهم بنظرية الصدفة والمفاجأة معتبرين ذلك نوع من الهروب من الغوص في استنباط الحقائق، فالقول ان مجتمعا او دولة هزمت بسبب وفاة قائدها مثلا، إنما دلالاته على مجتمع متهالك ربط مصيره بشخص.

-انه لا مجال للتعميم أو الأحكام الكلية في التاريخ، إن ما يذكره المؤرخ من أحكام إنما تأتي عفوا عن غير قصد، ولا يستطيع أن يثبتها بصفتها قوانين كلية استخلصها من بحثه

-في انه لا مجال التنبؤ التاريخي، والجزم بالحوادث استنادا لأسبابها لان التاريخ لا يعيد نفسه لكن يعدل نفسه.

في ان التاريخ وجهات نظر، فنقطة البدء بالنسبة إليهم ليست هي الماضي مجردا ولكن فهم واستيعاب مقتضيات الحاضر أخلاقية ودينية واقتصادية وسياسية واجتماعية، ولما كانت مقتضيات الحاضر مختلفة غير متجانسة، صارت الكتب التاريخية تعبر عن وجهات نظر أصحابها، وهو أمر يعود لعدة أسباب منها:

- تعذر تخلص المؤرخ من الذاتية تجاه من يؤرخ لهم أو ما يؤرخ.
- انتماء المؤرخ إلى حزب أو طبقة أو طائفة أو مذهب معين.